الأبعاد الحضاريّة والإنسانية في السّيرة النّبويّة

الدكتور/ خالد الشرقاوي السموني
جامعة محمد الخامس - الرباط
المملكة المغربية

ملخص:

اخترنا البحث في موضوع "الأبعاد الحضارية والإنسانية في السيرة النبوية"، نظراً لحاجة الأمة الإسلامية والأمم الأخرى إلى إبراز أهمية القيم الإنسانية التي أسس لها الرسول صلى الله عليه وسلم، لتكون دعوة هادفة إلى جعلها مبادئ وقيم كونية، ومن خلالها العمل على إرساء مبادئ الحقوق والواجبات ومبادئ الأمن والسلم والتعايش بين مختلف شعوب العالم والتسامح والمساواة والاحترام المتبادل ونبذ كل أشكال التمييز والعنصرية.

وهذه المبادئ التي أصبحت في وقتنا المعاصر مبادئ دولية معتمدة في العهود والمواثيق الدولية، سبق إليها الإسلام ووضع أسسها النبي محمد بحكمته وعبقريته واستشرافه للمستقبل. فكثير من المبادئ التي قامت عليها الحضارة الغربية، نجدها في السيرة النبوية. لذلك، ينبغي على المسلمين إعطاء الصورة الحقيقية لها من خلال العمل والممارسة في علاقتهم مع غيرهم من الشعوب، لإظهار عالمية الرسالة النبوية وسماحة الإسلام كدين يدعو إلى الأمن والسلام والحوار بين الأديان والتعايش بين الناس.

مقدمة:

جاء الإسلام فأزال السلطة الدينية وأقام مكانها دولة تكون فيها علاقة الإنسان مع الخالق علاقةً مباشرة، ولم تكن للرسول صلى الله عليه وسلم سلطة دينية على المسلمين، حيث أقام دولة في المدينة على أساس وثيقة "الصحيفة"، التي وضعت أسس المدنية والتي تعتبر لدى الكثير من المستشرقين والباحثين المختصين في الدين الإسلامي بدستور الدولة الإسلامية الأولى(١)، وقد احترم النبي صلى الله عليه وسلم من خلالها الاختلافات العقدية والعرقية، علماً أن هذه الوثيقة لم تكن تفويضاً مطلقاً من سكان المدينة للنبي صلى الله عليه وسلم أو خضوعاً من طرف واحد لحكم مطلق،

(١) الديني والمدني في دولة النبي صلى الله عليه وسلم (مناقشة من منظور الصحيفة وتنوع التصرفات النبوية): د. محمد جبرون، موقع "مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث". انظر الرابط: http://www.mominoun.com

وإنما كانت أشبه بعقد بين طرفين يستلزم حقوقاً وواجبات لكلا الطرفين لتتحقق من وراء ذلك المواطنة وسيادة القانون، والمواطنون فيها سواء من دون تمييز على أساس العرق والدين واللغة والانتماء الفكري: "لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى"(٢). ثم جاءت معاهدة "صلح الحديبية"، التي أبرم فيها صلحاً تاريخياً حلت به الهدنة محل الحرب التي ظلت قائمة لست سنوات، وبذلك أمنت الطمأنينة والحرية للناس(٣).

والإسلام هو دين الحوار والاعتراف بالآخر، وهو شريعة تطوير القواسم المشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وإيجاد السّبل الكفيلة بتحقيق ذلك بما يساعد على العيش بسلام وأمن وطمأنينة، ويحفظ الإنسان من أن يحيا حياة الإبعاد والإقصاء ونكران الآخر. لهذا أمر الإسلام بالحوار والدّعوة بالتي هي أحسن، وسلوك الأساليب الحسنة، والطّرق السليمة في مخاطبة الآخر، وهذا ما يفسر رفض الإسلام كل الأعمال والأفكار التي تؤدي إلى صدام الحضارات، عكس ما يروجه خصوم وأعداء هذا الدين.

وإذا كان البعض يعتبر التاريخ الشائع لنشأة مواثيق حقوق الإنسان قد بدأ بإعلان حقوق الإنسان والمواطن الذي ظهر عام ١٧٨٩م، وأن هذه الحقوق استمدت من مبادئ الثورة الفرنسية الكبرى التي أطاحت بالملكية والإقطاع، فدخلت مضامينها ميثاق الأمم المتحدة سنة ١٩٣٤م، ثم أقرت دولياً بوثيقة خاصة هي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أقرته الأمم المتحدة في ١٠ دجنبر ١٩٤٨م، فإننا إذا نظرنا إلى تاريخ الإسلام نجد أنه تقرر إعلان مبادئ حقوق الإنسان في أول دستور للدولة الإسلامية في المدينة المنورة "الصحيفة"، وأذاع بها رئيس الدولة وهو رسول الله عليه الصلاة والسلام في خطبة حجة الوداع، والتي سبقت إعلان الأمم المتحدة بأكثر من أربعة عشر قرناً من الزمن.

---

(٢) جعل الله تعالى التفاضل الحقيقي الذي يتفاوت الناس به في مكانتهم عند الله تعالى جعله بالتقوى فجعل أتقاهم أكرمهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ سورة الحجرات، الآية ١٣، وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألون؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.

(٣) قواعد السلم والأمن من خلال نموذج "صلح الحديبية" المعاهدة السياسية البارعة: د. يوسف المتوكل. انظر الرابط: http: //www.anfaspress.com

أهمية البحث:

لقد كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الكادحة وجهده الموصول حتى آخر لحظة، شهادةً حية على قدرة هذا الرجل النبي، على الإنجاز والتغيير بكل ما تنطوي عليه الكلمتان مِن بعد حضاريّ(٤). ولقد جاءت شهادة الباحث الأميركي المعاصر "مايكل هارت" الذي حاول أن يستقصي ويدرس بمعيارَي الإنجاز والتغيير، أعظم مائةِ شخصية في تاريخ البشرية... ثم مضى لكي ينفّذ خطوة تالية، باختيار أعظم رجل من بين هذه الشخصيات المائة، وبالمعيارين ذاتهما، فإذا باختياره يقع على محمد صلى الله عليه وسلم فيعتبره أعظم شخصية في التاريخ؛ وذلك في قدرته على تنفيذ إنجاز كبير ومتغيرات انقلابية تنطوي على الديني والدنيوي معاً.

وكان هدف رسالة النبي صلى الله عليه وسلم هو التأسيس لحضارة إنسانية تستمد منهجها ومفرداتها من هدي الله سبحانه، وتقوم على لقاء الوحي بالوجود، لمجابهة حضارات الكفر والضلال، وإزاحتها، والتحقق بالبديل الحضاري الملائم للإنسان ووظيفته التعبدية والعمرانية.. البديل المتوازن في مواجهة حضارات الميل والانحراف: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾(٥).

كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم دور بارز في بناء الدولة المدنية، ووضع القواعد التي تنظم العلاقات بين المسلمين فيما بينهم وبين المسلمين وغيرهم داخل المجتمع الإسلامي، تلك العلاقات المبنية على مبادئ الحقوق والواجبات وعلى مبادئ الأمن والسلم المدني والتعايش والمساواة والاحترام المتبادل ونبذ كل أشكال التمييز والعنصرية.

وهذه المبادئ التي ذكرناها، والتي أصبحت مبادئ دولية معتمدة في العهود والمواثيق الدولية سبق إليها الإسلام، ووضع أسسها النبي صلى الله عليه وسلم بحكمته وعبقريته واستشرافه للمستقبل. فكثير من المبادئ التي تتبجح بها الحضارة الغربية الآن نجدها في السيرة النبوية. لذلك، ينبغي على الشعوب الإسلامية الافتخار بها والعمل بمقتضياتها وإعطاء الصورة الحقيقية لها من خلال العمل والممارسة في

(٤) البعد الحضاري للسيرة النبوية: د. عماد الدين خليل، مجلس المجتمع الإلكترونية، ٣٠ مارس ٢٠١٦م. رابط المقال:
http://mugtama.com/ntellectual/item/31892-2016-03-30-12-02-48.html

(٥) سورة النساء: ٢٧.

علاقتها مع غيرها من الشعوب، لإظهار سماحة الإسلام كدين يدعو إلى الأمن والسلام والتعايش واحترام حقوق الإنسان.

أسباب اختيار الموضوع:

ارتأينا أن يكون عنوان البحث كالتالي: "الأبعاد الحضارية والإنسانية في السيرة النبوية". وقد اخترنا البحث في هذا الموضوع نظراً لحاجة الأمة الإسلامية إلى إبراز القيم الحضارية والإنسانية في السيرة النبوية لتكون دعوة هادفة إلى جعلها مبادئ وقيماً كونية، ومن خلالها العمل على إرساء مبادئ التسامح والحوار من أجل تعايش كريم بين مختلف شعوب العالم المعاصر.

وأيضاً من أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار الموضوع، عدم البحث فيه بتأصيلٍ إسلامي كافٍ، رغم بعض الدراسات التي عنيت بالسيرة النبوية، حيث ظلّت هنالك مواضيع وقضايا مهمة لم تنل حظها من البحث والدراسة والتحليل.

ومن بين المؤلفات التي اطلعت عليها وقد تناولت بعض جوانب الموضوع، أذكر كتاب "في ظلال الرسول صلى الله عليه وسلم"، للدكتور عبد الحليم عويس، صدر بالقاهرة سنة ١٩٨٠م، وكتاب "المنهج النبوي والتغيير الحضاري"، للدكتور برغوث عبد العزيز مبارك، صدر بقطر سنة ١٩٩٥م.

كما اطلعت أيضاً على عدد من الأبحاث والمقالات، أذكر من بينها، "أروع القيم الحضارية في سيرة خير البرية"، للدكتور انجوغو امبكي صمب، و"السيرة النبوية وأثرها في بناء المشروع الحضاري للأمة"، للدكتور محمد ويلالي، و"البعد الحضاري للسيرة النبوية"، للدكتور عماد الدين خليل، و"القيم الحضارية: مفهومها وأهميتها ووسائل تطبيقها في السنة النبوية" للدكتور محمد بشير محمد البشير.

أما خطة البحث:

فستكون في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المبحث الأول: إقامة الأمن والسلام والتعايش بين الناس والشعوب

ويتكون من:

المطلب الأول: الأمن والسلام

المطلب الثاني: الأمن الاجتماعي

المطلب الثالث: التعايش

المبحث الثاني: إسهامات النبي صلى عليه وسلم في إقرار الحقوق والحريات للبشر

ويتكون من:

المطلب الأول: مبادئ حقوق الإنسان في السيرة النبوية

المطلب الثاني: معاملة الأسير

المطلب الثالث: حقوق المواطنة

المطلب الرابع: حقوق المرأة

المطلب الخامس: التسامح ونبذ العنف

المطلب السادس: العدل والمساواة

ثم الخاتمة متضمنة النتائج.

ونرجو من هذا البحث، بتوفيق من الله تعالى، أن يكون إضافة نوعية إلى جانب بحوث سابقة تطرقت للموضوع الذي نحن بصدده، وأن يلامس بعض الجوانب الجديدة التي لم يسبق تناولها، بغية إبراز القيمة العظيمة للإسلام دين الحضارة الإنسانية الحقة.

المبحث الأول
إقامة الأمن والسلام والتعايش بين الناس والشعوب

تعني كلمة "الإسلام" السلام، كما قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾(٦)، ورحمة النبي صلى الله عليه وسلم للعالمين لقبُه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(٧)، وإقامةُ الأمن غرضُه، وغايته إدخال الناس إلى دار السلام في الآخرة. والنبي صلى الله عليه وسلم أسْهَم في إقامة الأمن والسلام في المجتمع من خلال وثيقة المدينة "الصحيفة"، ثُمَّ قام بالأمن والسلام بعدها بتعاليمه النبويَّة المتضمنة في أقواله وأفعاله، كما أسهم في إقامة مبدأ التعايش بين الشعوب. وهذا ما سنحاول إبرازه من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول
الأمن والسلام

للأمن أهميةٌ عُظْمى في حياة الفرد والمجتمع والأمَّة، ولهذا ذكره الله تعالى في كتابه الحكيم إلى جانب الغذاء، فقال ممتنّاً على أهل مكَّة: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾(٨)، بل قدَّمه على الغذاء، فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾(٩).

وبالرجوع أيضاً إلى السيرة النبوية، نجد النبي صلَّى الله عليه وسلَّم قد أشار إلى أهمية الأمن بأنَّ المسلم متى ظفر به، فقد ظفر بالدنيا كلِّها، فقال صلَّى الله عليه وسلَّم: "من أصبح منكم آمناً في سِربه، معافًى في جسده، عندَهُ قُوتُ يومِه، فكأنَّما حيزت له الدنيا".

ويُعَدُّ الأمنُ مقصداً من مقاصد الشريعة، فقد حصر العلماء المقاصد الضرورية في حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وصَرَّح في هذا الصدد الماوردي بأنَّ صلاح الدنيا وانتظام أمرها بستة أشياء، منها: أمنٌ عام تطمئن إليه النفوس، وتنتشر

(٦) سورة الحج، الآية ٧٨.
(٧) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.
(٨) سورة قريش: الآية ٤.
(٩) سورة النحل، الآية ١١٢.

فيه الهمم، ويَسْكُن فيه البريء، ويأنس به الضعيف، فبانت منه أيضاً أهميَّة الأمن والسلام[١٠].

وعليه، يصح القول، بأن الإسلام يولي للأمنَ والسلامَ الأهميّة القصوى، ويَعُدُّهما من الركائز الأساسيّة للحياة الإنسانية، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم"[١١]، وقصد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم أن المؤمن من لا يخافه الناس على أرواحهم ومُمْتَلَكاتهم العامّة. فالمسلم يجب أن لا يعتدي على نفس أحد أو شيء من ممتلكاته فضلاً عن الأماكن التي يتعبد فيها.

ولكن كثيراً من شعوب العالم لا تلتزم بهذه التعليمات السامية التي تُكَرِّس معاني الأمن والسلام التي لابدّ منها للمجتمع البشري، إذ نلاحظ أن المتعصبين من معتنقي بعض الديانات، كالبوذية والمسيحية واليهودية، يعتدون على المسلمين داخل المساجد، فيحرقونها ويهدمون مبانيها ويقتلون أحياناً من يتعبد فيها، وما الجرائم الوحشية التي تحدث في "بورما"، من حين إلى آخر، إلا دليل على همجية هؤلاء المتعصبين.

وجدير بالذكر في هذا الصدد، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوصي أتباعه، في ميدان القتال، أن لا يتعرضوا للضعفاء من الشيوخ والمُسِنِّين والأطفال والنساء بسوء؛ وأن لا يَتَعَدَّوا الحدودَ التي رسمها الإسلام، فلم يُمَثِّلُوا بالجثث؛ ولم يسيئوا إلى القتلى، وإن جَنَحَ الفريق المقاتل للسلم جنحوا لها حسب ما أمرهم كتاب الله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾[١٢].

ونشير أيضاً إلى أن الإسلام قد نهى عن التعرض بالقتال من يُعْرِض عنه ولم يَنْوِه، بل تقدّم إليهم بالصلح. وذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾[١٣].

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤوفاً رحيماً، وقد سَمَّاه ربّه "رحمة للعالمين" في كتابه الحكيم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[١٤]. وحياتُه كلها تدلّ على صفته هذه الجليلة العظيمة؛ بل كانت حياته ترجمة عملية لهذه الصفة؛ حيث

---

(١٠) أثر تعليم القرآن الكريم في حفظ الأمن: د.عبد القادر الخطيب، الأستاذ المساعد بجامعة الأمير سلطان - قسم العلوم العامة العام الدراسي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ.

(١١) حديث صحيح، تخريجه: سنن الترمذي - الإيمان (٢٦٢٧)، وسنن النسائي - الإيمان وشرائعه (٤٩٩٥)، ومسند أحمد - باقي مسند المكثرين (٢/ ٣٧٩).

(١٢) سورة الأنفال، الآية ٦١.

(١٣) سورة النساء، الآية ٩٠.

(١٤) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

كان يختار جميع الطرق التي تُؤَدِّي إلى حقن الدماء والحفاظ على الحياة الإنسانية والأمن العام.

وكان النبي لا يختار القتال إلّا اضطراراً. وصلحُ الحديبية الذي عقده مع كفار مكة على شروط كانت "تعجيزية" بظاهرها، وكانت تدلّ على التنازل الواضح والاستسلام لدى أهل الباطل يدلّ على إيثاره صلى الله عليه وسلم السلامَ على الصدام، والأمن على القتال، وعلى اللجوء إلى ما يثير الاضطراب في المجتمع(١٥).

ومن أهم ما نشير إليه أيضاً في فضل الإسلام بخصوص الأمن والسلم، أن المعاهدة المشهورة بـ"صلح الحديبية"(١٦)، التي نادى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام السادس من الهجرة، لدليل قاطع على حرصه الشديد على تحقيق السلام، وأنه كان دائماً يجنح للسلم إن هيئت له أسباب إقامة السلام في أي زمان وفي أي مكان.

فعندما قصد رسول الله العمرة مع أصحابه، في العام السادس من الهجرة، أبت قريش أن تسمح للنبي وأصحابه بأداء شعيرة العمرة، وهذا الفعل من القريشيين يعد جريمة كبرى في عرف العرب، إذ كيف يُصد عن البيت من جاء معظماً له.

وعرفت قريش ضيق الموقف، فأسرعت إلى بعث سُهَيْل بن عمرو لعقد الصلح، وأكدت له ألا يكون في الصلح إلا أن يرجع عنا عامه هذا، لا تتحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً، فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "قد سهل لكم أمركم، أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل"، فجاء سهيل فتكلم طويلاً، ثم اتفقا على قواعد الصلح، وهي هذه:

١ – الرسول يرجع من عامه هذا، فلا يدخل مكة، وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثاً، معهم سلاح الراكب، السيوف في القُرُب، ولا يتعرض لهم بأي نوع من أنواع التعرض.

٢ – وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض.

٣ – من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد

(١٥) الإسلام هو أول وأقوى داعٍ إلى الأمن والسلام: من وحي المؤتمر العالمي للأمن والسلام العالمي الذي عقدته جمعيةٌ علماء الهند في نيودلهي في يومي السبت والأحد ١٠ – ١١ صفر ١٤٣٥هـ، الموافق ١٤-١٥ ديسمبر ٢٠١٣م.

(١٦) صلح الحديبية: د. محمد أحمد باشميل ص ١٤٦ دار الفكر ط: ٣، ١٣٩٣ هـ –١٩٧٣م.

قريش وعهدهم دخل فيه، وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءاً من ذلك الفريق، فأي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدواناً على ذلك الفريق.

٤ – من أتى محمداً من قريش من غير إذن وليه – أي هارباً منهم – رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد – أي هارباً منه – لم يرد عليه.

ثم دُعي علي بن أبي طالب ليكتب مسودة الصلح، وكره سهيل بن عمرو – مبعوث القريشيين – أن يكتب في صدر الصحيفة "محمد رسول الله" وأبى عليّ بن أبي طالب، وهو كاتب الصحيفة، أن يمحو بيده "رسول الله"، فمحا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الصفة بيده، وأمر الكاتب أن يكتب "محمد بن عبد الله"، ثم تمت كتابة الصحيفة.

إن الرسول وصحابته، في دعوتهم إلى الإسلام، كانوا يفضلون السلم على الحرب، وإذا قرروا القتال، فإنهم يكونون مكرهين، وذلك دفاعاً عن النفس، فكانوا يدعون إلى الله بالحسنى ودين الحق، وينشرون الإسلام في ظل الأمن والسلام، ولا يعتدون على الغير ممن كفر، إلا دفاعاً عن أنفسهم رداً للاعتداء، عندما يكونون عرضة له، فكانوا مقيدين بتعاليم القرآن الكريم وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم السمحاء، الرامية إلى حماية الأمن والأرواح والممتلكات.

المطلب الثاني
الأمن الاجتماعي

كل فرد في المجتمع يحتاج إلى الأمن الاجتماعي، وقد جاء في الحديث الشريف: "مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو: تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمَّى"(١٧).

وقد أمر الله المؤمنين أن يتعاونوا على البر والتقوى، ونهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان، يقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾(١٨)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾(١٩). ويقول عز من قائل:

(١٧) حديث صحيح، تخريجه: صحيح البخاري، كتاب الأدب (٥٦٦٥)، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٨٦)، ومسند أحمد (٤/ ٢٧٠).

(١٨) سورة المائدة، الآية ٢.

(١٩) سورة الحجرات، الآية ١٠.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٢٠].

كما نذكر في هذا الخصوص جملة من الأحاديث النبوية التي أشارت إلى الأمن الاجتماعي، نذكر من بينها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "من أصبح منكم آمناً في سربه، معافىً في بدنه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا"[٢١]. وقوله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى"[٢٢].

وهناك من يرى أن خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في حجة الوداع بمثابة إعلان عالمي عن البرنامج الإسلامي للأمن الاجتماعي، فقد شدد فيها صلى الله عليه وسلم على ضرورة تحقيق الأمن الاجتماعي بين بني البشر بصرف النظر عن ألوانهم وأحسابهم وأعراقهم، فالدماء والأموال والأعراض مصونة ومحرمة كحرمة الكعبة المشرفة.

كما ورد عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يكرر في أدعيته وأذكاره قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أسألك الأمن يوم الخوف"، وقوله: "اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي"[٢٣]. ومن وصاياه صلى الله عليه وسلم قوله: "لا تخيفوا أنفسكم بعد أمنها"، يدل حرصه صلى الله عليه وسلم على التضرع إلى الله طلباً للأمن وتكرار ذلك في دعائه على أهمية الأمن في حياة المسلم، وأن هذه النعمة هي من أهم الضرورات الواجب تحقيقها في المجتمع[٢٤].

ويلاحظ أن كثيراً من الدول تعيش مآسي إنسانية بسبب الحروب والاضطرابات

---

(٢٠) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٢١) حديث صحيح، رواه البخاري في الأدب المفرد (رقم/٣٠٠) والترمذي في السنن (٢٣٤٦) والألباني في السلسلة الصحيحة (رقم/٢٣١٨).

(٢٢) رواه أحمد في مسنده (٢٢٩٧٨) وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩/٦)

(٢٣) رواه ابن ماجه في كتاب "الدعاء"، باب "ما يدعو به الرجل أذا أصبح وإذا أمسى": تحت رقم (٣٨٧١). ورواه أحمد في مسنده عن "عقبة بن عامر الجهني"، تحت رقم (١٦٦٨٢).

(٢٤) الأمن الاجتماعي: ضبط المصطلح وتأصيله الشرعي: د. عماد محمد رضا علي التميمي ود. إيمان محمد رضا علي التميمي، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الذي تقيمه كلية الشريعة في جامعة آل البيت بعنوان: الأمن الاجتماعي في التصور الإسلامي، ذلك يومي ٣-٤ يوليو ٢٠١٢م.

لغياب الأمن الاجتماعي، لأنه أساس الحياة الإنسانية، وأيضاً أساس الأمن في بعده السياسي، فلا يتحقق الأمن السياسي إذا لم يكن هناك أمن اجتماعي.

المطلب الثالث
التعايش

إن التعايش سمة مميزة للإسلام وإحدى أهم قيم هذا الدين وصفاته المميزة التي تعني الحرية للبشر كافة والمساواة بينهم من غير تفوق جنسي أو تمييز عنصري.

وقد نستشف مبدأ التعايش في الإسلام من الآية الكريمة: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٢٥]. وأيضاً من الأحاديث الشريفة، حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة من أجل تحقيق المجتمع الآمن المستقر، ووضع وثيقة المدينة التي نظم فيها العلاقة بين المسلمين من جهة وبين المسلمين وأهل الكتاب داخل المجتمع المسلم من جهة أخرى، وقد نصت على: "من خرج من المدينة آمن، ومن قعد آمن إلا من ظلم وأثم"، والتي كان الهدف منها تحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع[٢٦].

كما يشهد التاريخ أن معاملة المسلمين لغيرهم في البلاد المفتوحة كانت مثالاً رائعاً من التسامح لا مثيل له في التاريخ، ولعل من أكبر الأدلة وأقوى الحجج على قيام الحضارة الإسلامية عبر العصور على أساس متين من التسامح في أسطع معانيه هو تعايش المسلمين مع أهل الديانات والملل والعقائد في البلدان التي فتحوها، ويدل ذلك على أن التعايش مبدأ من المبادئ التي قامت عليها الحضارة الإسلامية والذي يرمي إلى القضاء على أسباب التوتر واضطراب حبال الأمن والسلام وعدم الاستقرار[٢٧].

ومن دلالات قمة التعايش بين الناس على مختلف درجاتهم ومراكزهم، ما جاء

---

(٢٥) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٢٦) لمزيد من التفاصيل حول صحيفة المدينة، انظر كتاب: وثيقة المدينة المضمون والدلالة، أحمد قائد الشعيبي. الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر. سنة ٢٠٠٥.

(٢٧) الإسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري في عصر الصحوة الإسلامية: د. حسن عزوزي، رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة - جامعة القرويين – فاس، المغرب. مقال منشور في الموقع: www.aldhiaa.com

في الحديث الشريف: "تمسكنوا وأحبوا المساكين وجالسوهم وأعينوهم، تجافوا صحبة الأغنياء وارحموهم واعفوا عن أموالهم". وكان صلى الله عليه وآله وسلم يكرر كثيراً: "جالسوا الفقراء"(٢٨). وهي قمة التواضع التي ينبغي أن يتصف بها المسلم مع أخيه المسلم ومع غيره من الناس.

فهي خصلة من خصال النبي صلى الله عليه وسلم، الإنسان المتواضع الذي دعا إلى التعايش بين المسلمين وغيرهم من معتنقي الديانات الأخرى، وأيضاً تعايش الأغنياء مع الفقراء كجسم واحد في كنف المساواة والاحترام المتبادل، مما قد يزيل الصراع الطبقي بين الفئات الاجتماعية ويقلص التفاوت فيما بينها.

خاتمة المبحث الأول:

رفع الإسلام راية الأمن والسلام منذ اللحظة الأولى لميلاده، ولم يعلن حرباً إلا إذا كان قد دُفع إليها دفعاً. فليس هناك دين دعا إلى السلام كما دعا إليه الإسلام، ولا مذهب من المذاهب القديمة أو الحديثة أسهم في تدعيم أسس السلام كما أسهم الإسلام. فالسلام في الأرض هو هدفه ودعوته، وأنشودة رسالته، ولم تكن حروبه في الواقع إلا وسيلة لإقرار هذا السلام في الأرض. وكان الأمن بمفهومه الشامل، هو أول أهداف الدولة منذ قيامها.

والنبي صلى الله عليه وسلم أسْهَم في إقامة الأمن والسلام في المجتمع من خلال وثيقة المدينة "الصحيفة"، ثُمَّ قام بالأمن والسلام بعدها بتعاليمه النبويَّة المتضمنة في أقواله وأفعاله، وكان يأمر أتباعه بالجنوح إلى السلم والأخذ بالعفو. ونجد أمثلة ساطعة في السيرة النبوية لقيمة الأمن في الإسلام. فقد أقام الرسول صلى الله عليه وسلّم الدولة الإسلامية الأولى في المدينة، ولم يقتصر الأمن على المسلمين، بل إن غير المسلمين كان لهم نصيبهم من الأمن على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

وقد جعلت السنة النبوية الحفاظ على ضرورة الأمن والسلم من أهم مقاصدها؛ ذلك أن أمن الإنسان على نفسه وماله وعرضه ضد أي اعتداء يقع عليه من غيره، مكفول عن طريق تطبيق الأحكام الشرعية التي تحمي الأنفس والأعراض والأموال، حتى يتحقق للمجتمع المسلم أمنه في جميع مجالات حياته.

(٢٨) مقومات الأمن الاجتماعي في الإسلام وآليات تحقيقه: د. محسن باقر محمد صالح القزويني، جامعة أهل البيت، العراق. مقال منشور في الموقع: http://www.ahlulbaitonline.com

وهذا المبادئ التي كرسها الإسلام من خلال الكتاب والسنة المطهرة نجدها في القوانين الدولية المعاصرة. ففي التنظيم الدولي الحديث، تكفل المواثيق الدولية، ومنها ميثاق الأمم المتحدة، لكل دولة الحق في العيش آمنة داخل حدودها، والحقَّ في رد العدوان عنها إذا وقع من دولة أخرى أو جماعة مسلحة، ولا يَسمح ميثاقُ الأمم بالأعمال العدوانية الموجهة ضد أي دولة، ويعطي الحقَّ في رد العدوان عن الدولة المعتدى عليها بكل الوسائل المشروعة، بما في ذلك تعاون الدول الأخرى عسكرياً في التصدي للعدوان الذي يقع على دولة عضو في الأمم المتحدة طبقاً للفصل السابع من الميثاق.

وبالإضافة إلى ذلك، نجد أن التعايش سمة مميزة للإسلام وإحدى أهم قيم هذا الدين وصفاته المميزة التي تعني الحرية للبشر كافة والمساواة بينهم من غير تفوق جنسي أو تمييز عنصري. ومن المبادئ التي ركّز عليه الإسلام، فأولاها عناية ورعاية هو مبدأ التعايش السلمي، الذي كان من الآليات التي اعتمدها الإسلام في معالجة التنوع العقدي والاختلاف الديني.

ولقد كان لرسول الله عليه وسلم دور مباشر في تطبيق مفهوم التعايش السلمي على مستوى التنظير والتطبيق، وهو ما ساعد بطبيعة الحال على تثبيت دعائم الأمن والاستقرار في أنحاء البلاد الإسلامية من جهة، والدعوة إلى نشْر تعاليم الدين الحنيف من جهة أخرى.

المبحث الثاني
إسهامات النبي صلى عليه وسلم في إقرار الحقوق والحريات للبشر

نجد في القرآن الكريم آيات عديدة، وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة، تؤسس كلها لكرامة الإنسان من حيث كونه إنساناً، وتقرر كلها حق البشر، على اختلاف الأجناس والألوان والمذاهب والعقائد – في حياة آمنة مستقرة.

ولقد كان الهدف من بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته، وكل الغاية من حياته ومنتهاها هو أن يخدم الإنسان وأن يهذب الإنسان وأن يزكي الإنسان وأن يعلم الإنسان، وباختصار أن يجعل من الإنسان إنساناً متمدناً متحضراً. وهذا ما سنتطرق إليه من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول
مبادئ حقوق الإنسان في السيرة النبوية

جاء الإسلام بنظام جديد للدولة، وجعل أحد أهداف الدولة الأساسية هو تحقيق حقوق الإنسان، كل هذا جعل بعض كبار علماء القانون يصرح بأن الدولة الإسلامية كانت أول دولة قانونية على الأرض، يخضع فيه الحاكم للقانون ويمارس سلطاته ضمن دستور، هو أحكام القرآن والسنة، دون أي اعتداء من الحكام أو المحكومين على السواء"[٢٩]، ودون إهمال لأي جانب من الجوانب التي تهم الفرد والمجتمع، أو أي حق من الحقوق، بل إن الإسلام قد بلغ في تقديس حقوق الإنسان إلى الحد الذي تجاوز بها مرتبة "الحقوق" عندما اعتبرها "ضرورات"، ومن ثم أدخلها في إطار "الواجبات"[٣٠].

لقد كان الإسلام أول من عرّف البشرية بفكرة حقوق الإنسان ولفت الأنظار إليها، وبإجراء مقارنة بسيطة بين ما ورد في وثائق حقوق الإنسان الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة، وبين النظام الإسلامي يتضح أن نظام التشريع الإسلامي أقر للإنسان جميع الحقوق منذ البداية، ولم يصنف الحقوق إلى أجيال وفئات كما جاء في المنظور الغربي للحقوق الإنسانية، كما أن حقوق الإنسان السياسية والمدنية، مرتبطة بحقوقه

(٢٩) حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون، د. البياتي، مؤتمر حقوق الإنسان في الشريعة والقانون، ص ١٣٣.

(٣٠) الإسلام وحقوق الإنسان: د. محمد عمارة، مجلة عالم المعرفة، الكويت – سنة ١٩٧٨، ص ١٥.

الاقتصادية والاجتماعية، كذلك الأمر بالنسبة للحقوق البيئية والثقافية والتنموية، وهي ليست أجيالاً ثلاثة تم استحقاقها على ثلاث مراحل، كما ورد في الوثائق الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة.

فأول إعلان لحقوق الإنسان كان قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[٣١]، ذلك أن تكريم الآدميين هو أصل الحقوق الإنسانية في الشريعة الإسلامية، وفي الشرائع كلها، ثم إن إقرار المساواة بين الناس جميعاً مما أكدته نصوص القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف، وأن لا تمايز بين الناس إلا بالتقوى، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣٢].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: "إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى"[٣٣]. هذه الخطبة العظيمة التي اعتبرها البعض بمثابة إعلان رباني لكل الحقوق المدنية، والاجتماعية، والسياسية للإنسان، أعلن فيها الرسول الكريم الثورة على كل ما هو جاهلي، وكل ما هو ظالم من الشرائع، كما أكد على مساواة النساء للرجال في الحقوق والواجبات، وأوصى بهن خيراً، بل وبدأ بذكر حقهن على الرجال، وهو ما افتقده الإعلان العالمي الصادر عن هيئة الأمم المتحدة[٣٤].

المطلب الثاني
معاملة الأسير

في الوقت الذي كانت فيه الحروب الجاهلية لا تعرف أيسر قواعد أخلاقيات الحرب، ظهر النبي صلى الله عليه وسلم بمبادئه العسكرية؛ ليشرِّع للعالمين تصوراً شاملاً لحقوق الأسرى في الإسلام[٣٥]. وفي هذا العصر الحديث، الذي نرى فيه

(٣١) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٣٢) سورة الحجرات، الآية ١٣.

(٣٣) مسند أحمد بن حنبل: ج٦، ص ٥٧٠/ الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد، توفي ٣٦٠هـ، المعجم الأوسط، كتاب آداب النفوس، وقال: تفرد به سهل بن عثمان، ولم يروه عن الجريري إلا أبو المنذر.

(٣٤) الإسلام وحقوق الإنسان: د. عمارة، ص ١٦٤.

(٣٥) رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالأسرى: د. محمد مسعد ياقوت، ٢٠٠٧/٣/٢٨، رابط الموضوع: http://www.alukah.net/sharia/0/489/ixzz4EOkqOtiC

المنظمات الدولية قد شرَّعت قوانين لحقوق الأسرى، كاتفاقية جنيف، بشأن معاملة أسرى الحرب، ورعايتهم جسدياً ونفسياً، نلاحظ أن بعض الدول المتقدمة في وقتنا المعاصر لا تحترم هذه الاتفاقيات والقوانين ولا تلتزم بها. وخير دليل على عدم تطبيق هذه الاتفاقيات، ما فعله الصرب بمسلمي البوسنة والهرسك وكوسوفا، من جرائم ضد الإنسانية وجرائم إبادة، حيث أنشأ الصرب معسكراتٍ أُعدت خصيصاً لاغتصاب النساء المسلمات. وكذلك ما تفعله إسرائيل في فلسطين، من جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية، تتمثل في التقتيل والدمار، والمذابح الجماعية، وتعذيب للأسرى في السجون وهتكٍ أعراضهم.

في حين نرى رسولنا صلى الله عليه وسلم شرِّع قبل وجود المنظمات والهيئات الدولية لحقوق الإنسان بمئات السنين حقوقاً شاملة وجامعة للأسرى، أضف إلى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل هذه الحقوق بنوداً نظرية بعيدة عن واقع الحروب، كما هو الحال في عصرنا، بل جعلها منهجاً عملياً، وطبقها بنفسه في غزواته، فهو يعد قدوة للبشرية جمعاء في المعاملة الإنسانية مع الأسرى لا مثيل لها في وقتنا الحاضر، حيث يتم التنكيل بأسرى الحرب وتعذيبهم ومعاملتهم بقسوة في خرق سافر للقانون الدولي الإنساني.

يقول لويس سيديو: "والكل يعلم أنه صلى الله عليه وسلم رفض بعد غزوة بدر رأْيَ عمر بن الخطاب في قتل الأسرى، وأنه صفح عن قاتل عمِّه حمزة، وأنه لم يرفض قط ما طُلب إليه من اللطف والسماح"(٣٦).

وفي هذا السياق نعرض نموذجاً من بين كثير من النماذج لأحداث تتعلق بمعركة بدر(٣٧)، حيث لما أُتي بالأسارى بعد المعركة فرَّقهم النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه وقال: "استوصوا بهم خيراً"، وهذه الوصية النبوية الرفيعة، تجد سندها في قول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(٣٨).

ونستنتج مما سبق، أن في إكرام النبي صلى الله عليه وسلم للأسرى، مظهراً فريداً من مظاهر الرحمة، في وقت كانت تُستَباح فيه الحرمات والأعراض. وكثيراً ما أطلق صلى الله عليه وسلم سراح الأسرى في سماحة بالغة، وهذا ما لا يحدث في

(٣٦) الإسلام بين الإنصاف والجحود: د. لويس سيديو – نقلاً عن هذا الكتاب – ، ص ١٣٤.
(٣٧) وقعت معركة بدر يوم ١٧ رمضان، العام الثاني الهجري.
(٣٨) سورة الإنسان، الآية ٨.

وقتنا الحاضر على الرغم من تعدد المنظمات الوطنية والدولية التي تعنى بحقوق الإنسان.

المطلب الثالث
حقوق المواطنة

عند وصول الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة مهاجراً، وجد في المدينة خليطاً من غير المسلمين من المشركين واليهود، ففكر في إيجاد رابطة أعم تتناسب مع واقع المدينة المتنوع والمتعدد في أطيافه وألوانه المجتمعية والعقيدية، وهذا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم عندما عقد اتفاقاً مع المسلمين وغير المسلمين، عرف باسم (صحيفة المدينة)، فكان بحق أول من وضع المعنى الحقيقي لمفهوم المواطنة المسؤولة بالمفهوم المعاصر مرجعية دستورية لسكان المدينة النبوية، إذ إن تلمس جوهر هذه الصحيفة – التي تتضمن ٤٧ بنداً – يوضح المشتركات القيمية مع مبدأ المواطنة، من خلال الاعتراف بالتعددية واحترام حقوقها وواجباتها بكل من سكن المدينة مسلماً كان أو غير مسلم. وهذا يتطابق مع مفهوم المواطنة القائم على فكرة العلاقة العضوية بين أفراد المجتمع السياسي للدولة والتي تحتمها ضرورات تنوعهم وتعدد أطيافهم(٣٩).

وأعطت الصحيفة لغير المسلمين الحق في حرية التدين، فقالت "لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ومواليهم وأنفسهم"، لقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام عندما كتب إلى أهل اليمن "إنه من كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفتن عنها وعليه الجزية، على كل حالم، ذكر، أو أنثى، عبد، أو أمة..."(٤٠).

ومن اللافت للنظر أن صحيفة المدينة أشارت إلى قدسية حقوق الإنسان من خلال تأكيدها على التعاون ضد الظلم والفساد والطغيان وحماية الضعيف، ولم تعط أي طرف ميزة خاصة، ووثقت مبادئ الإيمان والعدل والمساواة والتعاون بين بني البشر جميعاً.

---

(٣٩) وثيقة المدينة أساس تنظيم العلاقات المحلية والدولية والتسامح الديني: د. رشيد كهوس، أستاذ بكلية أصول الدين بتطوان جامعة القرويين – المغرب، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، محرم – صفر ١٤٣٤هـ / نوفمبر، ديسمبر ٢٠١٢م – يناير ٢٠١٣م، العدد: ١–٢، السنة ٣٧.

(٤٠) أخرجه أبو عبيد في كتاب الأموال: ص ٣١، برقم ٦٦.

وإذا كانت النصوص الإسلامية قد أسندت المسؤولية الجزائية على كل مسلم بصفته الفردية، فكذلك شملت هذه القاعدة غير المسلمين فجاء في الصحيفة: "إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ – أي يهلك – إلا نفسه" وكذلك وضحت الصحيفة ما هي واجبات (غير المسلمين لاسيما اليهود)، حيث أوجبت الصحيفة على اليهود عدم منح الجوار "الحماية" لقريش ولا من نصرها، كما أن من واجبهم مناصرة المسلمين في محاربة من اعتدى على المدينة. إضافة إلى تحديد النطاق الجغرافي الذي يحاسب عليه أي إنسان اقترف جرماً داخل ما يسمى بجوف المدينة كما في البند رقم (٣٩-٤٤).

ولذلك اعتبرت صحيفة المدينة أول وثيقة حقوقية نظمت العلاقة العضوية بين أفراد الجماعة السياسية وضمنت الحقوق والواجبات على أرضية التعددية الدينية والعرقية وأنها عقد مواطنة متقدم على عصره بين رأس الدولة ومن معه من المسلمين، وبين سكان المدينة من أهلها الذين لم يدخلوا الإسلام بعد.

المطلب الرابع
حقوق المرأة

يرى المفكر ول ديورانت أن الإسلام قد رفع "من مقام المرأة في بلاد العرب... وقضى على عادة وأد البنات وسوى بين الرجل والمرأة في الإجراءات القضائية والاستقلال المالي، وجعل من حقها أن تشتغل بكل عمل حلال، وأن تحتفظ بمالها ومكاسبها، وأن ترث، وتتصرف في مالها كما تشاء، وقضى على ما اعتاده العرب في الجاهلية من انتقال النساء من الآباء إلى الأبناء فيما ينتقل لهم من متاع، وجعل نصيب الأنثى في الميراث نصف نصيب الذكر، ومنع زواجهن بغير إرادتهن"[(٤١)].

ويوضح المفكر إميل درمنغم كيف حرر النبي صلى الله عليه وسلم المرأة ويفصل في ذلك.. قائلاً: "مما لا ريب فيه أن الإسلام رفع شأن المرأة في بلاد العرب وحسن حالها"، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "مافتئنا نعد النساء من المتاع حتى أوحى في أمرهن مبيناً لهن"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم.". أجل، إن النبي صلى الله عليه

(٤١) قصة الحضارة: ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، الناشر دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ج١٣، ص: ٦٧–٦٨. ول ديورانت مؤلف أمريكي معاصر، يعد كتابه (قصة الحضارة) ذو الثلاثين مجلداً، واحداً من أشهر الكتب التي تؤرخ للحضارة البشرية عبر مساراتها المعقدة المتشابكة، عكف على تأليفه السنين الطوال، وأصدر جزأه الأول عام ١٩٣٥، ثم تلته بقية الأجزاء، ومن كتبه (قصة الفلسفة).

وسلم أوصى الزوجات بإطاعة أزواجهن، ولكنه أمر بالرفق بهن ونهى عن تزويج الفتيات كرهاً وعن أكل أموالهن بالوعيد أو عند الطلاق.... ولم يكن للنساء نصيب في المواريث أيام الجاهلية... فأنزلت الآية التي تورث النساء. وفي القرآن تحريم لوأد البنات، وأمر بمعاملة النساء والأيتام بالعدل، ونهى محمد صلى الله عليه وسلم عن زواج المتعة وحمل الإماء على البغاء وأباح تعدد الزوجات..ولم يوصِ الناس به، ولم يأذن فيه إلا بشرط العدل بين الزوجات فيهب لإحداهن إبرة دون الأخرى... وأباح الطلاق أيضاً مع قوله: "أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق". وليس مبدأ الاقتصار على زوجة واحدة من الحقوق الطبيعية مع ذلك، ولم يفرضه كتاب العهد القديم على الآباء، وإذا كان هذا قد أصبح سنة في النصرانية فذلك لسابق انتشاره في بلاد الغرب، وذلك من غير أن يحمله رعايا نيرون إلى بلاد إبراهيم ويعقوب (عليهما السلام)... وأيهما أفضل: تعدد الزوجات الشرعي أم تعدد الزوجات السري؟... إن تعدد الزوجات من شأنه إلغاء البغاء والقضاء على عزوبة النساء ذات المخاطر"(٤٢).

إن "تحرير المرأة" الذي قام به النبي صلى الله عليه وسلم، كان تحريراً شاملاً وكاملاً بمعنى الكلمة.. فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم هو العامل الأساس في إيقاف الجريمة الكبرى التي كانت تمارس في حق المرأة، ألا وهي جريمة "قتل البنات خشية العار".. إن ثقافة وأد البنات كانت هي الثقافة السائدة في تصور المجتمع نحو المرأة.. ولم يجرأ أحد المصلحين قبل محمد صلى الله عليه وسلم أن يتصدى لهذه العادة القبيحة.. بل كانت تزداد فحشاً وانتشاراً في أنحاء الجزيرة.

هذا، وقد كانت المرأة تباع وتُشترى وتُورث.. فلما بعثَ الله محمداً صلى الله عليه وسلم أعاد للمرأة حقوقها المسلوبة، فمنحها حق الحرية، وأن تبيع وتَشتري لا أن تُباع وتُشترى، وأن ترث كما يرث الرجل، لا أن تورث كما كان الرجل يرثها مع مال أبيه.. إن العالم عن بكرة أبيه لم يعترف بالذمة المالية للمرأة.. وجاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقرر هذا الحق للمرأة.. فأصبحت تستطيع أن تعقد كبرى الصفقات التجارية، وتتعاقد مع من تشاء وتوكل من تشاء..

(٤٢) كتاب قالوا عن الإسلام، د. عماد الدين خليل. إميل درمنغم E.Dermenghem، مستشرق فرنسي، عمل مديراً لمكتبة الجزائر، من آثاره: (حياة محمد) (باريس ١٩٢٩) وهو من أدق ما صنفه مستشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم، و(محمد والسنة الإسلامية) (باريس ١٩٥٥)، ونشر عدداً من الأبحاث في المجلات الشهيرة مثل: (المجلة الأفريقية)، و(حوليات معهد الدراسات الشرقية)، و(نشرة الدراسات العربية).

و"في سور القرآن أشار إلى المساواة عند الله بين الذكر والأنثى بغير تفريق في التكليف أو الجزاء، وإشارة صريحة إلى مساواة المرأة والرجل في ثمرات الأعمال والجهود.. وفي بعض الأمم القديمة والحديثة، كانت المرأة تحرم غالباً من الميراث، فأبى الإسلام هذا الغبن الفاحش"(٤٣).

وتبين الباحثة ماكلوسكي "إن نشاطات المرأة المسلمة قد تمتد أحياناً خارج المنزل، فبعض النساء المسلمات كن يقمن بمسؤوليات عامة ... في الحرب والتجارة. ولكن ذلك كله كان في إطار الخلق الكريم"(٤٤).

وأيضاً عن حق المرأة في العمل تقول روز ماري: "إن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاها حقوقها كإنسانة، وكامرأة، وعلى عكس ما يظن الناس من أن المرأة الغربية حصلت على حقوقها... فالمرأة الغربية لا تستطيع مثلاً أن تمارس إنسانيتها الكاملة وحقوقها مثل المرأة المسلمة. فقد أصبح واجباً على المرأة في الغرب أن تعمل خارج بيتها لكسب العيش. أما المرأة المسلمة فلها حق الاختيار، ومن حقها أن يقوم الرجل بكسب القوت لها ولبقية أفراد الأسرة. فحين جعل الله سبحانه وتعالى للرجال القوامة على النساء كان المقصود هنا أن على الرجل أن يعمل ليكسب قوته وقوت عائلته. فالمرأة في الإسلام لها دور أهم وأكبر.. وهو الإنجاب وتربية الأبناء، ومع ذلك فقد أعطى الإسلام للمرأة الحق في العمل إذا رغبت هي في ذلك، وإذا اقتضت ظروفها ذلك"(٤٥).

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٤٦).

---

(٤٣) نقلاً عن د. عماد الدين خليل: قالوا عن الإسلام.

(٤٤) منى عبد الله ماكلوسكي، ألمانية، تعمل قنصلاً لبلادها، ألمانيا الاتحادية في بنغلاديش، واهتدت إلى الإسلام في مطلع عام ١٩٧٦، على يد شيخ الجامع الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود – رحمه الله – وشعرت يومها (وكأنها ولدت من جديد.) على حد قولها. انظر: عرفات كامل العشي، رجال ونساء أسلموا، ج٤.

(٤٥) روز ماري (مريم هاو) باحثة وصحفية إنكليزية، نشأت في عائلة نصرانية متدينة، ولكنها مع بلوغها مرحلة الوعي بدأت تفقد قناعاتها الدينية السابقة وتتطلع إلى دين يمنحها الجواب المقبول. وفي عام ١٩٧٧ أعلنت إسلامها. انظر: عرفات كامل العشي: رجال ونساء أسلموا، ج ٤.

(٤٦) سورة الممتحنة، الآية ١٢.

واشتراك المرأة مع الرجل، على أساس المساواة التامة، في جميع المسؤوليات التي ينبغي أن ينهض بها المسلم، حتم على المرأة أن تتعلم شئون دينها ودنياها، كما يتعلم الرجل، وأن تسلك كل السبل المشروعة الممكنة إلى التسلح بسلاح العلم والوعي والتنبه إلى مكامن الكيد وأساليبه لدى أعداء الإسلام الذين يتربصون به، حتى تستطيع أن تنهض بالعهد الذي قطعته على نفسها وتنفذ عقد البيعة الذي في عنقها، وواضح أن المرأة لا تستطيع أن تنهض بشيء من هذا إذا كانت جاهلة بحقائق دينها غير منتبهة إلى أساليب الكيد الأجنبي من حولها(٤٧).

إن النبي محمد لم يعتبر المرأة جرثومة خبيثة كما اعتبرها الآخرون، ولكنه قرر حقيقة إزالة هذا الهوان عنها، وهي أن المرأة بين يدي الإسلام قسيمة الرجل، لها ما له من الحقوق وعليها أيضاً من الواجبات ما يلائم تكوينها وفطرتها، وعلى الرجل بما اختص به من صفة الرجولة، وقوة الجلد، وبسطة واتساع الحيلة، أن يلي رعايتها، فهو بذلك وليها، يحوطها بقوته، ويذود عنها بدمه، وينفق عليها من كسب يده، ذلك ما قرره الله تعالى بقوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾(٤٨).

المطلب الخامس
التسامح ونبذ العنف

أصبح العنف اليوم ظاهرة خطيرة تهدد المجتمعات بالانهيار والانزلاق إلى حروب وصراعات داخلية، ولا شك أن ظاهرة العنف أكثر ما تتفشى في المجتمعات التي ينتشر فيها الجهل والتطرف، وهذا ما نبذه الإسلام جملة وتفصيلاً، واستأصل هذه الظاهرة من جذورها، ففي هذا الصدد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من نظر إلى مؤمن نظرة يخيفه بها أخافه الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله"(٤٩).

والعنف كما هو واضح من أخطر ما يواجهه المجتمع ويسلب منه الأمن والاستقرار وينشر الخوف والهلع بين الناس، فجاءت دعوة الإسلام إلى التسامح، بينما جعل جريمة قتل إنسان واحد يعادل قتل أمة، يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى

(٤٧) رجال ونساء أسلموا: د. عرفات كامل العشي، ج ٤.
(٤٨) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.
(٤٩) قال الألباني في "السلسلة الضعيفة والموضوعة" (٣٠٦/٥) أنه حديث ضعيف. وأخرجه البيهقي في "الشعب" (٢/٤١٧/٢ و٧٤٦٨ – ط).

ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾(٥٠).

فالتسامح عند النبي صلى الله عليه وسلم ضرورة اجتماعية وفضيلة أخلاقية وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها. كما أن ثقافة التسامح الديني التي أكد عليها النبي صلى الله عليه وسلم في دولة المدينة تتمثل في كونه أقر الاختلاف وقبل بالتنوع، واعترف بالتغاير واحترم ما يميز الأفراد وقدّر ما تتميز به كل فئة من مكونات ثقافية وعقدية، وتبقى لقيمة التسامح التي أقرها النبي صلى الله عليه وسلم الدور الفعال في ضبط الحقوق والواجبات والتزام كل الأطراف المتعايشة في المدينة بما وقع الاتفاق عليه.

وتجلت سياسة التسامح الديني في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عام الوفود حين استقبل وفوداً مسيحية وبعث برسالة إلى أسقف نجران. ويتحدث الباحث الروماني كونستانس جيورجيو عن أوضاع أصحاب الديانات السماوية في ظل الحكم الإسلامي فيقول: "مع أن الإسلام عم الجزيرة كلها في السنة التاسعة فإن محمداً لم يكره اليهود ولا النصارى على قبول دينه، لأنهم أهل الكتاب. وقد جاء في رسالة محمد إلى أبي الحارث أسقف نجران أن وضع المسيحيين في الجزيرة بعد الإسلام تحسن كثيراً، يقول في الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم، من رسول الله إلى أبي الحارث أسقف نجران الأكبر وقساوسته وأساقفه.. أما بعد، فليعلم الأسقف الأكبر وقساوسته وأساقفته أن كنائسكم ومعابدكم وصومعاتكم ستبقى كما هي، وأنكم أحرار في عباداتكم. ولن يزاح أحد منكم عن منصبه ومقامه، ولن يبدل شيء. كما لم يبدل في مراسم دينكم، ما دام الأساقفة صادقين، ويعملون حسب تعاليم الدين. فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله"(٥١).

ولقد كانت معاهدة صلح الحديبية، دليلاً حقيقياً لخلق الرسول الكريم الذي تميز به عن غيره من الخلق، كرجل يدعو إلى التسامح وينبذ العنف(٥٢)، ويتجلى ذلك من خلال الاتفاق على قواعد الصلح مع المشركين.

---

(٥٠) سورة المائدة، الآية: ٣٢.

(٥١) نظرة جديدة في سيرة رسول الله، المستشرق والوزير الروماني كونستانس جيورجيو ص ص ٣٧١-٣٧٢ ترجمة د. محمد التونجي. من كتاب: محمد شريف الشيباني: الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة.

(٥٢) فقه السيرة النبوية: منير محمد غضبان، ١٤١٩هـ، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- السيرة النبوية دروس وعبر: د. مصطفى السباعي، الطبعة الثامنة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

ومن أهم الوقائع التي حدثت في "صلح الحديبية" والتي تبين مدى تحلي الرسول صلى الله عليه وسلم بالتسامح، عندما جاء سفير قريش "سهيل بن عمرو" فقال: هات أكتب بيننا وبينك كتاب، فدعا النبي الكاتب، فقال: "اكتب باسم الله الرحمن الرحيم" فقال سهيل: "أما الرحمن فو الله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب".

فقال المسلمون: والله لا يكتبها إلا باسم الله الرحمن الرحيم، فقال رسول الله: "اكتب باسمك اللهم"، ثم قال: "هذا ما قضى عليه محمد رسول الله"، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي: والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني، أكتب محمد بن عبد الله على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به، فقال سهيل: لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغنة، ولكن ذلك من العام المقبل، فقال سهيل: على ألا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا.

ذلك كان خلق الرسول الكريم الذي تميز به عن غيره من الخلق، حيث أثبت فيما عقد من المعاهدات أنه عامل الطرف الآخر معاملة حسنة، وكان من شأنه أن لم يستبد، ولم يمل الشروط بدافع الانتقام والغيظ والغرور بقوته. وكان إذا عاهد مع المغلوبين عاهد كريماً، فأقرهم على عقائدهم وشعائرهم، وأمر برعايتهم والمحافظة على أموالهم ووفر لهم حرياتهم.

إنها ميزة التسامح التي تخلق النبي صلى الله عليه وسلم بها مع أعدائه في تنظيم سياساته الخارجية والداخلية، فكانت نبراساً يستنير به أصحابه من بعده، فشيدوا بها نظما وقوانين تسع جميع الشعوب، باختلاف أعراقهم وأجناسهم وأديانهم. كما أن سياسة التسامح الديني التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم تجاه أصحاب الديانات الأخرى استلهاماً لروح الإسلام، حظيت باحترام وتقدير المفكرين والمستشرقين المنصفين، فعقدوا المقارنة بين تسامح الإسلام وتعصب الصليبيين وفي هذا الباب يقول المستشرق ميشون في كتابه: "تاريخ الحروب الصليبية": "إن الإسلام الذي أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وهو الذي أعفى البطاركة والرهبان وخدمهم من الضرائب وحرم قتل الرهبان – على الخصوص – لعكوفهم على العبادات، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس.. وقد ذبح الصليبيون المسلمين وحرقوا اليهود عندما دخلوها"(٥٣).

(٥٣) تاريخ الحروب الصليبية، المستشرق ميشون، نقلاً عن كتاب روح الدين الإسلامي، د. عفيف عبد الفتاح طبارة، ص ٣٨٣.

المطلب السادس
العدل والمساواة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾(٥٤). فالآية دليل على إقامة العدل في النفس أولاً؛ حيث أداء الأمانة عدل مع النفس، ومن قدر على إقامة العدل في نفسه يصبح قادراً على إقامته بين الناس.

والمساواة هي أساس العدل. ولذا كانت مبدأً عاماً يطبق على الرعية داخل الدولة، وبين الشعوب على الصعيد الدولي، كركن أساسي من سياسة الإسلام الخارجية، دون حيف أو محاباة أو تمييز بلون أو عنصر، أو لغة أو اختلاف دين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعنَّ رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجُعلان التي تدفع بأنفها النتن"(٥٥). هذا الحديث يقرر مبدأ العدل والمساواة بين الناس، حيث يبين أن أصل الناس واحد، وعلى ذلك فلا مجال لتمييز أحد على أحد، بأي بسبب من أسباب التمييز.

ولقد كان رسول الله من مؤسسي حلف الفضول، الذي ما أُسس إلا لنصرة المظلوم ونشر العدل بين الناس، فقال رسول الله في هذا الحلف: قَالَ "شهدت حلف المطيبين مع عمومتي - وأنا غلام - فما أحب أن لي حمر النعم وأني أنكثه".

وقال: "لقد شهدت مع عمومتي في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت"(٥٦).

وفي هذا الصدد تحدث علماء الغرب عن أخلاق العدالة والمساواة في سلوك النبي صلى الله عليه وسلم، لاسيما وهو يمثل الحاكم الأول لدولة المسلمين؛ التي تمخض عنها أعرق حضارة في تاريخ البشرية، حيث يقول برتلي سانت هيلر:

"كان محمد صلى الله عليه وسلم رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه، وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيها،

(٥٤) سورة النساء، الآية ٥٨.
(٥٥) سنن أبي داوود، رقم الحديث: ٤٤٥٤، (حديث مرفوع).
(٥٦) كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه: عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله، ص٩٠.

فكان النبي صلى الله عليه وسلم داعياً إلى ديانة الإله الواحد، وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجل الصفات التي تحملها النفس البشرية، وهما العدالة والرحمة "(٥٧).

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصاً على تطبيق المساواة على الجميع، خاصة أنه قد وضع نفسه على قدم المساواة مع سائر المسلمين. كما رسخ عليه الصلاة والسلام قيم العدالة والمساواة ونهى عن التمييز العنصري.

وفي معاملات النبي صلى الله عليه وسلم مع الآخرين لم يكن يضع نفسه على مستوى أرفع من غيره البتة، كان يضع نفسه على قدم المساواة مع سائر الناس، وذات يوم، وكان قد احتل في "المدينة" مقاماً أشبه بمقام الملك، وفد عليه يهودي يقتضيه ديناً ما، وخاطبه في جلافة وخشونة قائلاً: إن بني هاشم لا يردون أيما مال اقترضوه من شخص آخر، فثارت ثائرة عمر بن الخطاب لوقاحة اليهودي، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم عنفه، ذاهباً إلى أن الواجب كان يقتضي من عمر أن ينصح كلاً من المدين والدائن: أن ينصح المدين الرسول صلى الله عليه وسلم برد الدين مع الشكر، وأن ينصح الدائن بالمطالبة به بطريقة أليق، ثم دفع إلى اليهودي حقه وزيادة، فتأثر هذا الأخير تأثراً عظيماً بروح العدل والإنصاف عند الرسول صلى الله عليه وسلم، ودخل في الإسلام "(٥٨).

ولا يفوتنا في هذا الصدد ما قاله المفكر الألماني برتلي سانت هيلر: "كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحريته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجلّ الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة "(٥٩).

خاتمة المبحث الثاني:

كرّم الله سبحانه وتعالى الإنسان بأن خلقه في أحسن تقويم وجعل له مهمّة

(٥٧) العدالة والمساواة في سلوك النبي صلى الله عليه وسلم: د. وليد الحمدان. انظر الرابط: http://www.stooob.com/270853.htm

(٥٨) انظر: المرجع السابق نفسه.

(٥٩) العلامة برتلي سانت هيلر الألماني (١٧٩٣ – ٨٨٤) مستشرق ألماني ولد في درسدن، وقال هذه الكلمة في كتابه: (الشرقيون وعقائدهم).

إعمار الأرض وخلافته فيها، وللإنسان في الإسلام الحقوق التي تضمن تكريم الإنسان وعدم إهانته، وتجعل من بقائه وحياته ضرورة وواجب على بقيّة البشر الحفاظ عليها.

ومن مظاهر هذا التكريم، أنه قد أعطى الإنسان حقوقاً كثيرة، تتمثل في نواحي حياة الإنسانية الخلقية والفطرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والثقافية والحضارية.

ومن الجدير بالذكر أن حقوق الإنسان في السيرة النبوية لم يذكرها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، لأنه لم يعترف بأخذ أفضلها عن الدين الإسلامي ومبادئه العظيمة، ومازال ينقصه الكثير طالما أنه موضوع من قبل البشر وما تمليه عليهم عقولهم وضمائرهم وأهواؤهم.

لقد اعتنت السنة النبوية بالإنسان وبحقوقه في كافة مجالات الحياة، وكانت السباقة فيما اعترف العالم به وأقرّه في مواد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

خاتمة:

من النتائج التي يمكن استخلاصها من بحثنا هذا، أن القيم الحضارية في السنة النبوية تعتبر أصل الحضارة الإنسانية، وسبب وجودها وبقائها، نظراً لما لهذه القيم من آثار جلية ودور عظيم في نهضة الأمم وتقدمها، من الجانب المادي والروحي.

كما أن الكشف عن الأبعاد الحضارية للسيرة النبوية وتفعيلها في الواقع هو أساس رقي الأمة وسموها. فمدرسة السيرة النبوية، التي أسس قواعدها الرسول عليه الصلاة والسلام، حُبلى بقيمٍ وأبعادٍ وإشاراتٍ ذات نورانية لا يستنفذها زمان أو مكان.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالاً للكمال الإنساني والأخلاقي والحضاري، جمع بين التنظير المثالي وبين التطبيق الواقعي من خلال السنة القولية والفعلية والتقريرية. هذه المعادلة الصعبة لم ينجح الفكر الإنساني في الوصول إليها، لأنه فكر ناتج عن اجتهاد البشر، بينما السنة النبوية مستوحاة من الوحي.

ناهيك عن أن أكثر القوانين والأنظمة والمعاهدات الدولية شيوعاً في عصرنا الحالي توجد لها أصول في السيرة النبوية: الأمن والسلم، التعاون والتعايش بين الشعوب، مبادئ العدالة والمساواة، حقوق المواطنة والتنمية البشرية، حماية البيئة، العمل الإنساني والخيري، حماية حقوق الإنسان والنهوض بها، مناهضة التمييز العنصري ونبذ العنف والتطرف... إلى غير ذلك.

وكان للنبي صلى الله عليه وسلم دور في الارتقاء بمستوى الإنسان من عصور الجاهلية والتخلف إلى حياة التحضر والتمدن، من خلال ما قام به من تصرفات ترمي

إلى نشر قيم العدالة والمساواة والحب والإخاء والتسامح والحوار بين الأديان، واحترام بعضها بعضاً، وأيضاً دوره صلى الله عليه وسلم في تحرير المرأة من الوأد ورق الجاهلية والمتاجرة بجسدها إلى الحياة الكريمة التي تعلي من شأنها وتصون كرامتها.

وعلى هذا الأساس، فإن عالمية السنة النبوية وإنسانيتها جعلت من النبي صلى الله عليه وسلم رسولاً للبشرية جمعاء، حيث قدم الحلول المنطقية لخلاص الأمم والمجتمعات من مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والروحية.

فالرجوع إلى السيرة النبوية من قبل الباحثين والمفكرين، المسلمين أو غيرهم، أصبح ضرورة ملحة في عصرنا الحاضر لاستخلاص معانيها الحضارية وإبراز أبعادها الإنسانية لأصحاب الديانات الأخرى بصفة عامة، ولأصحاب الفكر العلماني من أبناء أمتنا بصفة خاصة، الذين يسعون جاهدين لمحاربة الإسلام الذي نعتبره دين الحضارة الإنسانية، والتنكر لقيم السيرة النبوية التي تعد مصدراً عالمياً للتشريعات والاتفاقيات الدولية المتعلقة بالسلم والأمن والتعاون ومناهضة التمييز وحماية حقوق الإنسان.

وختاماً، لا بد من الإشارة إلى أهمية الدراسات والأبحاث من قبل المراكز العلمية والجامعات حول السيرة النبوية ومعرفة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسلوكه وتعامله مع أتباعه وكيفية قيامه بالدعوة الإسلامية واستشرافه للمستقبل. فالسنة النبوية تشكل مصدراً أساسياً من مصادر الأحكام والقوانين والأنظمة والمبادئ التي تشكل عماداً وأساساً للحضارة الإنسانية.

المراجع

المؤلفات:

- في ظلال الرسول صلى الله عليه وسلم: د. عبد الحليم عويس، القاهرة، سنة ١٩٨٠م.
- المنهج النبوي والتغيير الحضاري: د. برغوث عبد العزيز مبارك، قطر، سنة ١٩٩٥م.
- السيرة النبوية دروس وعبر: د. مصطفى السباعي، الطبعة الثامنة، سنة ٢٠٠٨م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.
- الإسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري في عصر الصحوة الإسلامية: د. حسن عزوزي، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد ٦، العدد ٢٣، سنة ٢٠١٠م.
- حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون: د. منير حميد البياتي، مسقط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سنة ٢٠٠٢م.
- الإسلام وحقوق الإنسان: د. محمد عمارة، مجلة عالم المعرفة، الكويت، سنة ١٩٧٨م.
- فقه السيرة النبوية: د. منير محمد غضبان، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٨م.
- الإسلام هو أول وأقوى داعٍ إلى الأمن والسلام: من وحي المؤتمر العالمي للأمن والسلام العالمي الذي عقدته جمعية علماء الهند في نيودلهي في يومي السبت والأحد ١٤-١٥ ديسمبر ٢٠١٣م.
- الإسلام بين الإنصاف والجحود: لويس سيديو – نقلاً عن هذا الكتاب.
- كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه: د. عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٧م.
- نظرة جديدة في سيرة رسول الله: كونستانس جيورجيو، ترجمة د. محمد التونجي، الدار العربية للموسوعات، سنة ١٩٨٣م.
- الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة: د. محمد شريف الشيباني، دار الحضارة العربية، بيروت، سنة ١٩٨٨م.

- تاريخ الحروب الصليبية، ميشون، نقلاً عن كتاب روح الدين الإسلامي، د. عفيف عبد الفتاح طبارة.
- صلح الحديبية: د. محمد أحمد باشميل، دار الفكر، ص. ١٤٦، الطبعة ٣، ١٩٧٣م. التواصل الحضاري والتفاهم بين الشعوب: د. عبد العزيز بن عثمان التويجيري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، أيسيسكو، ٢٠١٠م.

المقالات والأبحاث:

- الأمن الاجتماعي: ضبط المصطلح وتأصيله الشرعي: د. عماد "محمد رضا" علي التميمي و د. إيمان "محمد رضا" علي التميمي، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الذي تقيمه كلية الشريعة في جامعة آل البيت بعنوان: الأمن الاجتماعي في التصور الإسلامي، يومي ٣-٤ يوليو ٢٠١٢م.
- رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالأسرى: د. محمد مسعد ياقوت، ٢٠٠٧/٣/٢٨م، رابط الموضوع: http://www.alukah.net
- الأمن في السنة النبوية: د.عصام البشير، رابط الموضوع: http://essam-albashir.com
- مقومات الأمن الاجتماعي في الإسلام وآليات تحقيقه: د. محسن باقر محمد صالح القزويني، جامعة أهل البيت، العراق. رابط الموضوع: http://www.ahlulbaitonline.com
- وثيقة المدينة أساس تنظيم العلاقات المحلية والدولية والتسامح الديني: د. رشيد كهوس، أستاذ بكلية أصول الدين بتطوان جامعة القروين – المغرب، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، نوفمبر، ديسمبر ٢٠١٢م – يناير ٢٠١٣م، العدد: ١-٢، السنة: ٣٧.
- حوار الحضارات: د. فتحية فاروق عمر، قراءة في دور الأمم المتحدة. سبتمبر ٢٦، ٢٠١٥. رابط الموضوع: http://www.alrurai.com
- الإسلام وحوار الحضارات: د. محمد محفوظ، مقال منشور في جريدة الرياض. رابط الموضوع: http://www.alriyadh.com
- من أجل حوار بين الحضارات: روجيه جارودي، دار النفائس، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٠م.
- موقف الإسلام من الحضارات الأخرى: د. محمد نورد شان، بحث مقدم إلى

ندوة الإسلام وحوار الحضارات، غير منشور، مكتبة الملك عبد العزيز، الرياض . السعودية، سنة ٢٠٠٣م.

- وثيقة المدينة المضمون والدلالة: أحمد قائد الشعيبي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، سنة ٢٠٠٥م.
- أسس الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم: حمزة حسن سليمان صالح، مقال منشور بتاريخ ٢٠١٤/٩/١٠. رابط الموضوع: http://www.tafsir.net
- الحضارة الإنسانية في الإسلام مفهومها.. أساسها.. مقوماتها: د. علي بن إبراهيم الناجم. رابط الموضوع: http://www.alyaum.com

كتب الأحاديث:

- الترمذي في الزهد باب: ما جاء في حفظ اللسان – الجزء ٤.
- ابن ماجه في كتاب "الدعاء"، باب "ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى".
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
- صحيح البخاري، كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط ٣/ ١٧٩.

The civilized and human dimensions in the Biography of the Prophet Muhammad

Dr. Khaled Alsherqawi

We chose the research on the topic of "Civilizational and Human Dimensions in the Biography of the Prophet", in view of the need of the Islamic word and other nations to highlight the importance of the human values established by the Prophet peace be upon him, to be a meaningful call to make them universal principles and values, the establishment of the principles of rights and duties, the principles of security, peace and coexistence among the various peoples of the world, tolerance, equality and mutual respect, and the rejection of all forms of discrimination and racism.

And these principles which have become contemporary international principles in international covenants and conventions, preceded by Islam and established by the Prophet Muhammad in his wisdom and genius and his outlook for the future. Many of the principles on which Western civilization was based are found in the Prophet's biography. So, Muslims should give their true image through work and practice in their relationship with other peoples, to show the universality of the Prophet's message and to allow Islam as a religion that calls for peace, dialogue and interfaith dialogue.